جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الحوارية في القرآن الكريم

دراسة تداولية

رسالة مقدمة من

الباحثة / منال مدكور عبد الواحد

للحصول علي درجة الدكتوراه

تحت إشراف

أ.د/ محمد عبد المطلب

أ د/ منال محرم

جامعة عين شمس ٢٠١٦

شكر وعرفان

تأتي كلماتُ الشكرِ –دومًا– محاولةً أن تَرُدَّ للمشكورِ جميلا أسداه إلى شاكرِه، أما كلماتي فتقفُ دُونَ مشكوري؛ لأنه أبي الذي عَوَّضني غيابَ أبي، ومعلمي الذي نَمَّى في وجداني حُبَّ التعلمِ؛ ولأنه كما يقول الشاعر:

رَوَتْ عنكَ أخبارُ المعالي محاسنا كَفَتْ بلسانِ الحالِ عن ألسنِ الحمدِ

وإني لأذكره إنسانًا حين تذبلُ الإنسانيةُ في كثير من تفاصيل الحياة حولَنا، فتخضرُّ في حضرته الأماني، وتزول عند رؤيته الصعاب، وتُحيلُ بشاشتُه الحُلكةَ نُورا، والعبوسَ سرورا، ليس له ظاهرٌ وباطنٌ، فلم أعهده يكره أحدا، أو يهمز أحدا، أو يلمز أحدا، بل يجتمع الجميعُ– وهم أشتاتٌ– في رَحْبَةِ قلبه الحانِي على مائدة طُعُوْمُهَا: الطِّيبةُ، والصدقُ، والمحبةُ، والوفاءُ، والتواضعُ... ولقد عاملتُه فما طالعتُ من علانيتِه إلا خيرا وحبا، وما لامستُ في سريرته إلا معروفا ووُدًّا.

كما أذكره عالِما أفنى أوقاتَه في محرابِ العلم، فهو معه في "جدليةِ الإفرادِ والتركيب"، "البلاغة والإسلوبية "، وهو التراثيُّ الذي ليس في تراثيته تقَعُر، والحداثيُّ الذي ليس في حداثته رطانةٌ وتَبَخْتُر، شهِدتْ بلَوْذَعِيَّتِه أقلامٌ حين استطاع أن يبنيَ جيلا من الأكاديميين والشعراء والنقادِ والمعلمين والدارسين، فأثرى الحياة من حوله بما لا يزال حاضرا لا يزول من ذاكرة الأيام.

إليك يا سيدي أنشد ما قال الشاعر:

أوْلَيْتَني نِعما أبوحُ بشكرِها وكَفَيْتَنِي كلَّ الأمورِ بأسرِها

فلأشكرنَّكَ ما حَيِيْتُ وإن أمُتْ فلتَشكرنَك أَعْظُمِي في قبرِها[1]

إنه أستاذي ومشرفي، العالم الجليل الدكتور محمد عبد المطلب ، فله مني كلُّ إجلال وتقدير.

تلميذتكم

---

(1) الأبيات تُراجع في كتاب المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي، ١/٥١٤.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم لنا نوراً نهتدي بـــه فـــي الظلمـــات ، فالقرآن لم يترك لنا باباً إلا وقد تناوله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، التـــي حاج بها خصومه في صورة جلية يدركها القاصي والداني ، الجاهل والمـــتعلم ، فالقرآن الكريم وضع القواعد وأصل الأصول لحل جميع القضايا ، ومـــن أهمهـــا الحوار القائم على العقل ،وذلك باستخدام العقل وسيلة إلي التعامل مع الآخرين .

(وهذا موضوع بحثي إن شاء الله)

- يهدف هذا البحث إلى كشف ظاهرة الحوارية في القرآن الكريم .

- **من أهم الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع :-**

- أهمية أسلوب الحواروالحجاج في عرض الدعوة الإسلامية
- بيان هذا الأسلوب المتميز الذي اتبعه القرآن الكريم بشكل منهجي .
- أسلوب الحوار من أنجح الأساليب وأمثلها لحل المشاكل بين الأفراد بعيدا عن الضغوط والأهواء الفاسدة .

وترجع أهمية الموضوع إلى أنه يتناول ظاهرة متعلقة بكتـــاب الله عـــز وجل ، ويستعرض أسلوباً من أساليب القرآن ألا وهو أسلوب الحوار المتميز في كتاب الله عز وجل .

وبالإضافة إلي ما تقدم فقد اخترت هذا العمل لاقتناعي بثراء المادة التـــي أتحدث عنها .

- **ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني في هذا الموضوع**

أن الدراسات العلمية المحكمة عن الحوارية في القرآن الكريم ، مازالـــت قليلة وكثير منها يتناول أجزاء معينة عن الحوار في القرآن الكريم ، ولا تتعـــدى إشارات بين الموضوعات العامة .

- **سأنهج في بحثي هذا منهج التحليل التداولي :**

أي سوف أتابع السياقات التي أحاطت بالآيات والسور القرآنية ، وهو ما جاء تحت مصطلح (أسباب النزول) ، كما سوف أتابع المنهج في رصد أطراف الحوار ، ومرجعيتهم الثقافية والحياتية ، بالنسبة للحوارات البشرية ، أما الحوارات الإلهية ، فسوف يكون اهتمامي بطرف المتلقي .

وذلك بعرض المعلومات الدائرة والآراء بين القدماء والمحدثين ، و عرض نظرياتهم البلاغية والأسلوبية ، في المسألة عرضاً موجزا يفي بحاجة البحث محللة الآراء فيها .

- **ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع**

وردت إشارات للحوار القرآني في بعض الكتب التراثية مثل:

" البيان والتبيين " للجاحظ و" الطراز " ليحيي العلوي

كما وردت إشارات له عند كثير من المفسرين ، من أمثال الزمخشري ، وابن كثير ، وابن جزي الكلبي

أما خطة الرسالة، فهي: ..

التمهيد

أولا : نبذة عن التداولية

ثانيا : القراءة القرآنية

أ- شروط القراءة القرآنية ، وضوابطها اللغوية والبلاغية

ب- مفهوم الحوارية لغوياً واصطلاحياً ، وبدائلها اللغوية ، مثل: (الجدل والنقاش) ، ومفهومه في الدرس النقدي والأدبي الحديث .

جـ-لوازم الحوار : (الحجاج – السياق المقامي والحالي)

الفصل الأول : " الحوارات السماوية "

المبحث الاول :

أ- الحوار بين الله والملائكة.

ب- حوار الله مع إبليس .

ج- حوار الله مع سيدنا آدم

د – حوار الله مع آدم وحواء

المبحث الثاني :

حوار الله مع الأنبياء والرسل

الفصل الثاني : الحوار بين السماء والأرض

حوار الملائكة مع الأنبياء

الفصل الثالث : " الحوارات الأرضية "

أ- الحوار بين الأنبياء وقومهم .

ب-الحوار بين الأنبياء والرسل :

١- حوار يعقوب مع يوسف

٢- حوار إبراهيم مع إسماعيل

٣- حوار موسي مع هارون

الفصل الرابع : " القضايا الحوارية "

أ- الحوار حول الحياة والموت والبعث ، وصلة هذه القضية بالسياق الثقافي

الفصل الخامس: " أساليب الحوار "

أ- الأساليب الخبرية

ب-الأساليب الإنشائية .

ج- الحوار الحجاجي .

الخاتمة :

تتناول أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، مع عرض التوصيات التـــي يراها البحث في هذا الموضوع .

التمهيد : نبذة مختصرة عن التداولية

- **التداولية**

الكلمة ترجمة للمصطلح الغربي (Pragmatics) والذى ترجم عدة ترجمات ، البعض ترجمة إلى (التداولية) والبعض إلى (الذرائعية) والبعض إلى (السياقية) والبعض إلى (سياق الموقف)، والبعض إلى (التخاطبية) والبعض إلى (النفعية) ثم (علم الاستعمال)

- **التداولية في اللغة**

أما (التداول) فى لسان العرب ، فهو : (تداول الشيء مرة بعد مرة) و (الدالة) اسم للشيء الذى نتداوله ، ومن هذه الصيغة جاءت كلمة (دواليك) أى مداولة بعد مداولة ، وتداولت الأيدى الشيء: أخذته هذه مرة ، وهذه مرة ، وأقول : (دال الشيء) : جعله متداولا ، وفى القرآن : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [1] .

ومن الفعل (دال) جاءت الصيغة (تداولية) مصدرا صناعيا ، ومن طبيعة هذه الصيغة التعبير عن المعنى المجرد لمجموع الصفات المأخوذة من مادة (التداول) ، أى أنها تضم المعنى (السياقى) و(المرجعية الحياتية) و(الموقفية).

- **التداول في الاصطلاح**

التداولية لا تنظر إلى اللغة بوصفها بنية منغلقة ، وإنما تدرسها في سياق وظيفي ، أو استعمالي ، وذلك على أساس أن الاستعمال سوف يتجه بالقول إلى السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية والنفسية . الأمر الذي يجعله يشمل فئات المجتمع اللغوي المختلفة .[2]

---

[1] – سورة آل عمران ، الآية ١٤٠

[2] – القراءة الثقافية : محمد عبد المطلب ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٣ ، ص٩٠ .

ولقد جعلت التداولية المرسل بؤرة اهتمامها ، وألزمته بضرورة مراعاة المقام والمخاطب لإنجاز خطاب تأثيري ، كما قدمت شروطا لنجاح الخطاب في الغرض المراد له ، كما يبين ذلك فان ديك Van Dik بقوله " تتيح (التداولية) صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة ".[١]

- **التداولية في الثقافة العربية**

منها تعريف أبي هلال العسكري ، بقوله : " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن".[٢]

ومنها تعريف السكاكي ، بقوله : " هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام ، على ما يقتضي الحال ذكره " .[٣]

فقد اشتمل التعريف على مبادئ التداولية ، منها العناية باللفظ ، ومراعاة الحال.

الجاحظ : " وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام مقال ". [٤]

والحق أن الثقافة العربية ، هى (ثقافة الاستعمال السياقى) ونظرة موجزة إلى أقدم العلوم العربية (النحو) توثق هذه الحقيقة ، إذ إن النحاة الأوائل أخذوا سبيلهم إلى البوادى ، محتملين أقسى المتاعب لكى يجمعوا اللغة من سياقات

---

[١] – النص والسياق : فان دايك ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجم : عبد القادر قيني ، ط ٢٠٠٠ ، ص ٢٩٢.

[٢] – كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة المصرية بيروت ١٩٨٦ ، ص ١١

[٣] – مفتاح العلوم : السكاكي ،تحقيق نعيم زرزور ، ط المكتبة الوقفية ١٩٨٧ ، ص ١٦١.

[٤] – البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٨ . ج١ص ٧٢.

الاستعمال ، حيث يتلقونها شفاهة بالنطق وطريقة الكلام ، فلما صح لهم ما جمعوه ، عكفوا عليه ، ودونوه ، ملاحظين الحالات الكلامية التى تختلف من بيئة لأخرى ، ومن قبيلة لأخرى ، بل تابعوا التطور الزمنى وعلاقته بالاستعمال.

المنهج التداولي يدرس اللغة من جهة الاستعمال في الموقف التواصلي ، ويهتم بربط المنطوق بسياقاته المختلفة ، سواء منها ما كان في إطار السياق الكلامي ، أو في إطار السياق الحالي والمقامي . ومن سمات هذا المنهج أنه لا يغلق البنية اللغوية على نفسها ، كما هو حاصل في المنهج البنوي مثلا ، ولكنه يعتمد على تأويل الدلالة من خلال ربطها بسياقاتها المختلفة ، وهو ما أراه مناسبا لدراسة الحوار في الخطاب القرآني ، إذ إن الخطاب القرآني ثري في مادته ، وفي سياقاته ، (كأسباب النزول) و (التفسير) وغير ذلك .

والتداولية في هذا البحث إذن سوف تهتم بأسباب النزول .

ثانيا : القراءة القرآنية

أ- شروط القراءة القرآنية ، وضوابطها اللغوية والبلاغية

ب- مفهوم الحوارية لغوياً واصطلاحياً ، وبدائله اللغوية ، مثل (الجدل والنقاش) ، ومفهومه في الدرس النقدي والأدبي الحديث .

جـ- لوازم الحوار : (الحجاج – السياق المقامي والحالي)

أ- شروط القراءة القرآنية ، وضوابطها اللغوية والبلاغية .

المقياس الأول : موافقة العربية ولو بوجه:-

الأصل في القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لقواعد اللغة العربية ، نظرا لأن القرآن نزل بلغة عربية ، ولا يتصور أن تكون هناك قراءة ليست متلائمة مع القواعد النحوية .

المقياس الثاني : موافقة أحدا للمصحف العثماني ولو احتمالا :-

هذا المقياس يجعل المصحف العثماني هو الأساس في القراءات القرآنية ، بحيث تتوافق القراءة الثابتة عن طريق النقل والرواية ، بما جاء في

المصحف العثماني ولو احتمالا ؛ لأن الرسم العثماني قد يخالف بعض القراءات ، في زيادة حرف أو نقصانه .

المقياس الثالث : صحة السند .

يشترط في القراءة القرآنية الصحيحة والمعتمدة والمقبولة أن يكون سندها صحيحا ، بنقل العدل الضابط عن مثله ، وتكون مشهورة عند القراء الثقات ، فإذا لم تكن القراءة صحيحة السند بنقل الثقات فلا تقبل ، ولو وافقت الرسم القرآني .

يقول الإمام ابن الجزري :

" إن كل قراءة تواتر سندها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووافقت خط المصحف العثماني ، ولو احتمالا، ووافقت العربية بوجه من الوجوه المعتبرة ؛ فتلك هي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها...، وما لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاث ؛ فهي شاذة لا يقرأ بها أيا كان الإمام الذي نقلت عنه "[1]

وما خالف هذه الضوابط منها أو خالف بعضها فهو شاذ ، وموضع نظر عند الجرزي أو موضع تضعيف أو تفضيل غيره عليه .[2]

أ- **موافقة القراءة للعربية :**

فيختار ما وافق الأغلب الأشهر في اللغة . ويردد عبارة " ولا ينبغي أن يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ "

---

[1] – النشر : ابن الجزري ،المحقق علي محمد الضبع ، المطبعة التجارية الكبرى بدون تاريخ ج١ ص ٣٤.

[2] – ما سنذكره من ضوابط أخذ بها مكي بن أبي طالب في كتابه الإبانه ص٢ ، وابن الجزري في كتابه النشر ج١ص٩ .

في قراءة مجاهد وحميد بن قيس الآية " زين للذين كفروا الحياة " البقرة : ٢١٢.بفتح الزاي . قال : " وهي قراءة شاذة ؛ لأنه لم يتقدم للفاعل ذكر "[١]

ب- ما وافق الجماعة أوالعامة :

فهو يختار من القراءات ما كان عليه الإجماع في روايتها وصحة سندها ، ويحاول أن يبرر ما كان ظاهره خلاف الإجماع ، ويرد الاحتجاج لما خالف الاجماع ، كما رد احتجاج أبي عبيدة لقراءة الكسائي " فيومئذ لايعذب " الفجر: ٢٥ ، بفتح الذال ؛ لأن الاجماع على كسرها .[٢]

ورد احتجاج أبي عبيد أيضا في اختياره قراءة أبي عمرو " ولا تفرحوا بما آتاكم " الحديد : ٢٣ ، قياسا على ما قبله قال : " لأن كتاب الله لا يحمل على المقاييس ، وإنما يحمل بما يؤديه الجماعة عن الجماعة ،وإنما تؤخذ القراءة كما قلنا أو كما قال نافع بن أبي نعيم : ما قرأت حرفا حتى يجتمع عليه رجلان من الأئمة ، أو أكثر فقد صارت قراءة نافع عن ثلاثة أو أكثر . ولا نعلم أحدا قرأ بهذا الذي اختاره أبو عبيد إلا أبا عمرو " [٣]

فكان يحتج للقراءة بالإجماع وأكثر القراءات التي تخرج عن الجماعة ، وإن وقعت في الأسانيد الصحاح ، فهي من جهة الآحاد " [٤]

ج – موافقة القراءة لرسم المصحف :

كان ابن النحاس يحتج برسم المصحف ، والقراءة التي تخالف ما في المصحف يحاول أن يؤولها ، فإن لم تقبل تأويلا جعلها قراءة على المعنى ، أو على التفسير .

---

[١] – إعراب القرآن ،محيي الدين الدرويش ،دار ابن كثير ١٩٩٢، ج٣ ، ص ١٠٥

٢ – السابق : ١٢٥٣.

[٣] – إعراب القرآن : ١٢٥٣

[٤] – السابق : ١٣٤٠ .

في قراءة ابن عباس وابن أبي اسحاق " ولا يضارر" البقرة : ٢٨٢ . بكسر الراء الأولى ، وقراءة ابن مسعود " ولاتضارر" بفتح الراء الأولى ، قال : " وهاتان القراءتان على التفسير ، ولا يجوز أن تخالف التلاوة التي في المصحف " [١]

هذه قراءة مخالفة للمصحف في النطق بالكلمة عينها ، وقد يكون هذا الخلاف في وضع كلمة أخرى ، في معنى التي في المصحف كقراءة عبد الرحمن بن الأسود ويقال : إنه جاء في حرف ابن مسعود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢]

وقد تكون القراءة المخالفة للمصحف لما فيها من زيادة ، فابن النحاس يعدها من قراءات التفسير ، كما روي عن ابن عباس في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [٣] قال فيها : " وهذه القراءة على التفسير ؛ لأن فيها زيادة عن ما في المصحف "[٤]

وكذا ما روي مجاهد عن ابن عباس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [٥]

فالقراءة الشاذة عنده إذن ، هي ما خالف واحدامن الضوابط المذكورة ، الأشهر الأغلب في اللغة ، أو الجماعة والعامة في روايتها ، أورسم المصحف ،وما خالف مصحفا صح سنده ، أم لم يصح فهي قراءات على التفسير أو على المعنى .

---

١ – إعراب القرآن : ١٣٩.

٢ – سورة يس ، الأية : ٢٩

٣ – سورة البقرة ، الأية : ٢٣٨

٤ – إعراب القرآن : ١١٩ .

٥ – سورة النساء ، الأية: ٧٩

ب – مفهوم الحوارية لغويا واصطلاحيا ، وبدائله اللغوية مثل (الجـدل والنقاش) ، ومفهومهما في الدرس النقدي والأدبي الحديث .

الحوار في اللغة

الحوار من التقنيات التي وضعها القرآن الكريم في نقـل محتـواه إلـى المتلقي أو نقل الوحي الإلهي إلى من يحاورهم ، ومن ثم كان من الضروري أن نتوقف عنده لكشف أبعاده المعرفية.

إن كلمة الحوار في اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بكلمتين ، هما الجـدل والنقاش ؛ ولذا جاء في لسان العرب [1] عن مادة حور :

" **الحور** : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حار إلى الـشيء ، وعنـه حورا ، ومحارا ، ومحارة ، وحؤورا : رجع عنه وإليه .

وقال الجوهري : حار يحور حورا وحؤورا ، رجع ، وفي الحديث مـن دعا رجلا بالكفر وليس كذلك ، حار عليه ، أي رجع عليه ، وأحار عليه جوابه : رده وأحرت له جوابا ، وما أحار بكلمته "

وعلى هذا المفهوم اللغوي للحوار ، كان لابد فيه مـن وجـود ،مـتكلم ومخاطب ؛ لما فيه من تبادل الكلام ومراجعته

وعلى هذا النمط تسير اللفظة في آي القرآن الكريم ، فقد ترددت المفردة في **ثلاث مرات مثل** :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [2]

كذلك ما ورد عن صاحبي الجنة اللذين ساق القرآن حوارهما :

---

[1] – لسان العرب : ابن منظور ،ط دار المعارف ١٩٧٦ ، مادة حور.

[2] – سورة المجادلة ، الأية: ١